

دقة التعبير في آيات الأحكام وأثرها في الإعجاز القرآني

م.د. باسم كنعان صالح
كلية التربية الأساسية – جامعة ديالى

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من جاء الوجود فعلمه ما لم يكن يعلم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد :

فتعد دراسة الإعجاز البياني للقرآن الكريم من الدراسات المهمة التي أفرزتها الحاجات العصرية والضرورات الفكرية لأنها توقفتنا امام حقيقة الإعجاز ، وهو سر التحدي للعرب أصل الفصاحة والبلاغة بالمجيء بمثله ، وبعد تفكير مستديم ودراسة طويلة شرعت بكتابة بحثي هذا والذي سميته بـ (دقة التعبير في آيات الأحكام وأثرها في الإعجاز القرآني) مع علمي بان القرآن مليء بالإعجاز ، ولكنني رأيت ان دقة التعبير ووضع اللفظ بمكانه من اجل وجوه الإعجاز القرآني ، وقد احتوى بحثي هذا على مقدمة وثلاثة مباحث ، تحدثت في المبحث الأول عن الدقة في انتقاء الحروف إذ انه لا يمكن استبدال حرف مكان حرف آخر ، والمبحث الثاني تكلمت فيه عن الدقة في انتقاء الكلمات فلا يصح أبدال كلمة مكان كلمة ومن أراد ان يبديل كلمة مكان كلمة فانه يرى فرقاً كبيراً بينهما ، ثم ختمنا المبحث الثالث بالاكلام عن انتقاء الجمل فقد اثبت في هذا ان الإعجاز لا يقتصر على الجمل بل وصل إلى الكلمات والحروف ، ثم تلته الخاتمة التي خرجنا فيها بأهم النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الباحث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على من جاء الوجود فعلمه ما لم يكن يعلم نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد : فتعد الدراسات القرآنية من أجل الدراسات وأعظمها كيف لا وان هذا الكتاب هو معجزة الله الخالدة على مر العصور وكر الدهور ، الكتاب الذي أعجز أساطين الفصاحة والبلاغة على الإتيان بمثله ، ولكنهم لا ولم ولن يقدروا على ذلك ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، فكل باحث يزداد علواً وفخراً وقدرراً ان يأذن الله له ان يممسك القلم ليكتب ولو بشيء يسير في هذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وقد رأيت ان الناس يتكلمون عن الاعجاز القرآني فكل باحث يكتب عن وجه من وجوه الاعجاز فهذا يتكلم عن الاعجاز الكوني ، وذلك يتكلم عن الاعجاز النفسي ، وثالث يتكلم عن الاعجاز الطبي وهكذا هلم جراً بوجوه الاعجاز القرآني، شرعت بدراسة وجه اخر من وجوه الاعجاز الا وهو اعجاز اختيار الحرف والكلمة والجملة ، ولذلك وسمت بحثي هذا بـ (دقة التعبير في آيات الأحكام وأثرها في الإعجاز القرآني) وكما هو معلوم لدى الباحثين والدارسين ان الكلام يتكون من ثلاثة أركان الحروف وهي المشتملة على الأصوات ، والكلمات وهي المشتملة على الحروف ، والجملة هي المشتملة على الكلمات ، والإعجاز يضم هذا كله ، وكلام الله تعالى دقيق غاية الدقة ، فما من حرف في القرآن ولا كلمة ولا جملة يصح ان نستبدلها ، فتؤدي المعنى المراد منها يقول الشيخ الشعراوي : " إذا أردنا ان نتحدث عن معجزة القرآن وبلاغته ، فإننا لا بد ان نتناول دقة اللفظ او دقة التعبير في القرآن الكريم ، وكلام الله سبحانه وتعالى يجب ان يكون في غاية الدقة ، بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً .. فلا تجد حرفاً زائداً بلا معنى ، ولا كلمة مترادفة " (١) .

والقرآن مليء بالاعجاز ، وكله دقة في التعبير ، اللفظ في مكانه .. فاذا تغير عن مكانه فانما يريد الله ان يلفت انظارنا الى معنى آخر ، وليست هناك الفاظ لا تتسم بالدقة ، وليس هناك كلمة في غير موضعها ، وانما دقة متناهية في التعبير ، دقة متناهية في البلاغة ، ومن هذا فقد احتوى بحثي هذا على مقدمة وثلاثة مباحث ، فقد جاء المبحث الاول ليتحدث عن الدقة في انتقاء الحروف ، والمبحث الثاني الدقة في انتقاء الكلمات ، وجاء المبحث الثالث ليتكلم عن الدقة في انتقاء الجمل ، ثم الخاتمة باهم النتائج ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المبحث الاول

الدقة في انتقاء الحروف

الحرف هو الجزء الأصغر التي تتكون منه الجملة القرآنية ، فلا شك ان في اختلال هذا الجزء اختلال بالبيت الاكبر ، فلو سقط هذا الحرف ، او أبدل لغيره ، او أقحم معه غيره لكان هناك خلل بين ، فحروف القرآن متناسقة بجرسها ومعناها ، مؤدية اداء لا يمكن لحرف آخر ان ينوب او يعني عنها .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٢) ، ففي التعبير بـ (ثم) في قوله تعالى (ثم طلقتموهن) دون الفاء او الواو يفيد ان العطف هنا على التراخي للإشارة الى ان الطلاق ينبغي ان يكون بعد تريت وتفكير طويل ، ولضرورة محلة لأن الطلاق من الامور التي يبغضها الله سبحانه وتعالى ، حيث فيه هدم وتحطيم للحياة الزوجية ، ولهذا قال بعض الفقهاء : ان الآية ترشد الى ان الاصل في الطلاق الحظر ، وانه لا يباح الا اذا فسدت الحياة الزوجية ، ولم تفلح وسائل الاصلاح بين الزوجين ، والحكم واحد فيمن يتزوج امرأة فطلقها على الفور ، او طلقها على التراخي (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ (٤) ، ففي قوله (وعلى المولود له) نجد اختياراً دقيقاً لحرف (اللام) الذي لا يتعدى احد المعنيين هنا (اما للملك او شبه الملك) او (للاستحقاق) وعلى كلا المعنيين ثبتت الاحكام الآتية من خلال هذه اللام (وجوب نفقة الولد الصغير على والده ، كل ما للولد فلوالده حق التصرف فيه ، لا يشارك احد الوالد في النفقة على الولد ، الولد ينسل للأب فقط) (٥) ، فعلى المعنى الاول تدل اللام على ان الولد ملك لوالده ، فتكون نفقته عليه ، كذلك فان كل ما يملك الابن من مال فهو ملك للوالد ، كما قال ﷺ : " أنت ومالك لأبيك " (٦) .
اما على المعنى الثاني فان الوالد يكون مستحقاً للولد فثبتت الأحكام السابقة نفسها فيكون الوالد مستحقاً لولده كسائر ما يملك (٧) .

قال الزمخشري : " فان قلت : لم قيل (المولود له) دون الوالد؟ قلت : ليعلم ان الوالدات إنما ولدن لهم ، لأن الأولاد للأباء ولكن ينسبون إليهم لا الى الأمهات " (٨)

ومشهد آخر هو قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٩) ، فما هي الحكمة من اختيار (او) في الآية؟ وما هي دلالتها؟

والجواب ان النحاة والمفسرين اختلفوا في المعنى المراد منها على رأيين :
الاول : انها للتفضيل ، فتنزل العقوبة بهم كل على حسب جنايته ، فمن قُتِلَ قُتِلَ ، ومن قُتِلَ واخذ المال قُتِلَ وصلب ، ومن أخذ المال بلا قتل قطعت يده ورجله من خلاف ، ومن أخاف أهل السبيل ولم يقتل ولم يأخذ المال نفي ، وهذا ما ذهب اليه ابن عباس والاوزاعي وابو يوسف ومحمد بن الحسن ، وهو مذهب الامام الشافعي أيضاً (١٠) .

والثاني : انها للتخيير فالسلطان مخير بين العقوبات المذكورة في الآية ، فاي عقوبة يراها انفع للمصلحة أوقعها ، وهذا هو ما ذهب اليه سعيد بن المسيب ، ومجاهد ، والحسن البصري ، وعطاء ، وهو مذهب الامام مالك (١١) .

المبحث الثاني

الدقة في انتقاء الكلمات

والقرآن الكريم دقيق في اختيار كلماته فما من كلمة وضعت في مكان وتستطيع ان تبدلها او ترفعها من مكانها ، فمن وجوه دقة تعبير القرآن الكريم انتقاء الصفات المتعلقة بالله تعالى ، فما من وصف ذكر الا وله غاية وحكمة ، ونحن في هذا الموضوع سنحاول الكشف عن بعض هذه الحكم ، مختارين بعض الصفات ، مبينين

المناسبة التي وردت فيها ونبدأ بلفظ الجلالة الذي هو اسم له سبحانه وتعالى وليس صفة .

• الله

هناك فرق لطيف بين لفظ (الله) ولفظ (الإله) وهو ان الأول اسم علم للذات المقدسة لا يشاركه فيه غيره ، ومعناه المعبود بحق ، والثاني يطلق على الله تعالى وعلى غيره ، وهو مشتق من (اله) ومعناه المعبود ، سواء كان بحق او غير حق ، فالأصنام التي كان يعبدها العرب تسمى (آلهة) جمع (إله) لأنها عبدت بباطل من دون الله ، وما كان احد يسمي الصنم (الله) بل كان العربي في الجاهلية إذا سئل : من خلقك ، او من خلق السموات والأرض؟ وفيهم يقول القرآن الكريم : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ (١٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٣) ، وضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجح الى اسم ان لتربية المهابة والإذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما يتعلق به من العلم على تعلق إرادته تعالى بما ذكر من الإتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البته ، وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً ونصيراً لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعاً انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض أمره إليه تعالى (١٤) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١٥) ، ابرز اسم الجلالة في قوله (يلعنهم الله) على سبيل الالتفاف لتربية المهابة ، وادخال الروعة ، اذ لو جرى على نسق الكلام المتقدم لقال (أولئك نلعنهم) (١٦) .

• الرحمن الرحيم :

قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٧) ، والرحمن اسم خاص بالله ، اما الرحيم فيطلق عليه وعلى غيره ، فعلى هذا الرحمن اعظم من الرحيم ، ولسائل ان يسأل عن سبب ذكر الأدنى بعد الأعلى؟ والجواب كما يقول الامام الرازي : لأن العظيم لا يطلب منه الشيء الحقير اليسير ، حكى ان بعضهم ذهب الى بعض الأكابر فقال : جئتكم لمهم يسير ، فقال : اطلب للمهم اليسير رجلاً يسيراً ، كأنه تعالى يقول : لو اقتصرت على ذكر الرحمن لاحتشمت عني ولتعدر عليك سؤال الامور اليسيرة ، ولكن كما علمتني رحماناً تطلب مني الامور العظيمة ، فانا ايضاً رحيم ، فاطلب مني شراك نعلك وملح قدرك ، كما قال تعالى لموسى (يا موسى سلني عن ملح قدرك وعاف شاتك) (١٨) .

• غفور حلیم

قال تعالى ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٩) ، والغفور : هو الذي تكثر منه المغفرة ، ويكثر منه الستر على المذنبين من عباده ، ويزيد عفوه على مؤاخذته ، وكذلك فالمغفرة هي ازالة الذنب ومحوه (٢٠) ، وفي قوله : (واعملوا ان الله غفور حلِيم) أي : واعملوا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى ، حلِيم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستدلوا بتأخيرها على ان ما نهيتهم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذه ، والظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإدخال الروعة (٢١) .

والى نص آخر نلمس فيه هذا التوافق الجميل هو قوله تعالى : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (٢٢) ، حيث نجد مناسبة الغفران والحلم لعدم المؤاخذه على اللغو في الايمان واضحة قوية (٢٣) .

• سميع عليم :

كما نجد اختيار (السمع والعلم) مناسباً مع بعض التكاليف الشرعية والاحكام المتعلقة بالنساء ، قال تعالى : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤) ، والسميع هو الذي يسمع السر والنجوى ، ويستوي عنده الجهر والخفوت ، والنطق والسكوت (٢٥) ، قال الحلبي : " السميع معناه : المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون من غير ان يكون له اذن ، وذلك راجع الى الاصوات لا تخفى عليه ، وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن ، لا كالأصم من الناس لما لم يكن له من الحاسة لم يكن أهلاً لادراك الصوت (٢٦) ، وقوله (والله سميع عليم) مسوق مساق التذييل للتحذير من التوسع في الرخصة او جعلها ذريعة لما لا يحمد شرعاً ، فوصف (السميع) تذكير بانه يسمع ما تحدثن به انفسهن من المقاصد ، ووصف (العليم) تذكير بانه يعلم احوال وضعهن الثياب وتبرجهن ونحوها (٢٧) .

ونقرأ قوله سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨) ، لنجد ان الله تعالى سميع بما تم من وصية ، وعليم بمن يبدلها ، فناسب اختياره (سميع عليم) (٢٩) .

وقال سبحانه : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣٠) ، واختيار (سميع عليم) تذييل مناسب للامر بالدعاء لهم ، والمراد بالسميع هنا المجيب للدعاء ، وذكره للإشارة الى قبول دعاء النبي ﷺ ، ففيه الى التنويه بدعائه ، وذكر العليم الماحاً منه الى انه ما امره بالدعاء لهم الا لأن في دعائه لهم خيراً عظيماً وصلاً في الامور ، إذن فالله تعالى يسمع الدعاء ، وهو تعالى يعلم ما في القلوب ، ويقضي بما يسمعه ويعلمه قضاء السميع العليم ، وهو وحده الذي يقضي في شأن العباد فيقبل منهم توبتهم ويأخذ منهم صدقاتهم ، فتبارك الله رب العالمين (٣١) .

ونقرأ قوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣٢) ، لنعلم انه تعالى السميع لنجوانا ، والعليم بما تضمنه أفئدتنا من الإخلاص له ، فناسب اختياره (السميع العليم) (٣٣) .

• غفور رحيم :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٤) ، قال ابن عاشور : " وفرع (فان الله غفور رحيم) على ما يقتضيه الاستثناء من معنى : فاقبلوا شهادتهم واغفروا لهم ما سلف فان الله غفور رحيم ، أي فان الله امر بالمغفرة لهم لانه غفور رحيم ، كما قال في آية البقرة : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٣٥) " (٣٦) .

قال تعالى أيضاً ﴿ ... وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٧) ، وفي قوله : (ان الله غفور رحيم) تعليل للأمر بالاستغفار ، أي لان الله كثير المغفرة شديد الرحمة ، والمقصود في هذا التعليل الترغيب والتحريض على الاستغفار بأنه مرجو الإجابة ، وفي الإتيان بالوصفين الدالين على المبالغة في الصفة إيماء الى الوعد بالإجابة (٣٨) .

• تواب رحيم :

وفي سورة الحجرات نبحث عن سبب اختيار (التوبة والرحمة) من صفاته سبحانه وتعالى ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣٩) ، والحكمة والله أعلم : " لان التقوى تكون بالتوبة بعد التلبس بالإثم ف قيل ان الله تواب ، ويكون التقوى ابتداء ، فيرحم الله المتقي ، فالرحيم شامل للجميع " (٤٠) .

• رؤوف رحيم :

قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤١) ، والرؤوف هو ذو الرأفة ، والرأفة هي شدة الرحمة كما يقول الامام الغزالي (٤٢) ، وقيل : ان الرأفة في دفع المكروه ، والرحمة أعم تشمل المكروه والمحبوب (٤٣) ، وللسائل ان يسأل عن سبب تقديم الرأفة على الرحمة ، وكان الاصل ان يكون الترقى من الادنى الى الاعلى فتكون الصياغة (ان الله بالناس لرحيم رؤوف) فما السبب؟ والجواب كما يقول الشيخ محمد رشيد رضا : " لان الرأفة أخص من الرحمة ولا تستعمل الا في حق من وقع في البلاء ، والرحمة أعم لانها تشمل من وقع في البلاء ومن لم يقع " (٤٤) ، وسياق النص يبين اختيار

(الرأفة والرحمة) فقد خشي المؤمنون ان تذهب طاعة اخوانهم وصلاتهم قبل تحويل القبله سدى^(٤٥) ، فكان هذا الاختيار .

• عليم حكيم :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤٦) ، وعلیم هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق كما يقول الخطابي^(٤٧) ، وقال الحلیمي : " العليم معناه المدرك لما يدركه المخلوقون بعقولهم وحواسهم وما لا يستطيعون إدراكه من غير ان يكون موصوفاً بعقل او حس ، وبذلك انه لا يعزب عنه شيء ، ولا يعجزه إدراك شيء يعجز عن ذلك من لا عقل له ولا حس من المخلوقين ، ومعنى ذلك انه لا يشبههم ولا يشبهونه "^(٤٨) .

اما الحكيم فهو اما معناه المحكم ، والاحكام في حق الله تعالى لخلق الاشياء هو اتقان التدبير فيها ، وحسن التقدير لها^(٤٩) ، او هو أفضل العلم ، فالحكمة هي عبارة عن معرفة أفضل المعلومات ، وافضل العلوم ، فهو تعالى أصل العلوم كلها فهو الحكيم الحق^(٥٠) .

وقوله (عليم حكيم) في الاية له اختيار جميل ، فهو تعليل لقوله (وان خفتم عيلة) أي ان الله يغنيكم لانه يعلم ما لكم من المنافع من فائدة القبائل ، فلما منعكم من تمكينهم من الحجّ لم يكن تاركاً منفعتكم فقدّر غناكم عنهم بوسائل اخرى علمها وأحكم تدبيرها^(٥١) .

يقول ابن عطية : " ان الله أحاط بالكلام كله ، فاذا أراد ترتيب اللفظة من القرآن ، علم بإحاطته أي لفظة تصلح ان تلي الاولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كله ، من أول القرآن الى آخره ، والبشر يعمهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة ان لا احد من البشر يحيط بذلك ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة " (٥٢) .

والى بعض صور دقة النظم القرآني ، قال تعالى : ﴿ الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ... ﴾ (٥٣) ، والتعبير بقوله (بما فضل الله بعضهم على بعض) ابلغ من القول (بما فضلهم عليهم) او (بتفضيلهم عليهن) رغم كون الاخيرين أوجز! ولا شك ان في اختيار هذا النظم حكمة جليلة ، وهي إفادة ان المرأة من الرجل ، والرجل من المرأة ، بمنزلة الاعضاء من جسم الانسان ، فالرجل بمنزلة الرأس ، والمرأة بمنزلة البدن ، ولا ينبغي ان يتكبر عضو على عضو لان كل واحد يؤدي وظيفة في الحياة ، فالاذن لا تغني عن العين ، واليد لا تغني عن القدم ، ولا عيب في الشخص ان يكون قلبه افضل من معدته ، ورأسه اشرف من يده ، فالكمل يؤدي دوره بانتظام ، ولا غنى لواحد عن الاخر .

كذلك فان في هذا التعبير حكمة اخرى وهي الاشارة الى ان هذا التفضيل هو للجنس ، لا لجميع افراد الرجال على جميع افراد النساء ، فكم من امرأة تفضل زوجها في العلم والدين والعمل ، وقال الشاعر :

ولو كان النساء كمن ذكرنا ... لفضلت النساء على الرجال (٥٤)

وقال تعالى : ﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ (٥٥) ، ولقائل ان يقول ان رعاية اللفظ تقتضي ان يقال (فمن كان منكم مريضاً او مسافراً) ولم يقل هذا بل قال (فمن كان منكم مريضاً او على سفر) والجواب : ان الفرق هو ان المرض صفة قائمة بالذات ، فان حصلت والا فلا ، واما السفر فليس كذلك لان الانسان اذا نزل في منزل فان عدم الإقامة كان سكونه هناك إقامة لا سفر وان عدم السفر كان هو في ذلك الكون مسافراً فاذن كونه مسافراً امر يتعلق بقصده واختياره فقوله (على سفر) معناه كونه على قصد السفر (٥٦) .

وفي مشهد آخر يطالعنا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ... ﴾ (٥٧) ، فما الحكمة من اختيار قوله (من المؤمنين) في الآية دون قوله (منكم)؟ ، قال الرازي : " لم يقل (منكم) مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله (يا ايها الذين آمنوا) تنبيهاً على قبح ذلك ، وتبعيداً لهم عنهم ، كما يقول السيد لعبده : إن رأيت احداً من غلماني يفعل كذا فامنعه ، فيصير بذلك مانعاً للمخاطب عن ذلك الفعل بالطريق الحسن ، كأنه يقول : أنت حاشاك ان تفعل ذلك ، فان فعل غيرك فامنعه ، كذلك ههنا قال (وان طائفتان من المؤمنين) ولم يقل منكم " (٥٨) .

والى آداب شرعها القرآن ، وشرعها الاسلام ، وضيعها الكثير ففاتهم الكثير ، وفاتهم الخير الكثير ، وفاتهم من الراحة الشيء الكثير ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا ... ﴾ (٥٩) ، وفي هذه الآية انتقاء دقيق للألفاظ

وآداب جميلة لأمة محمد ﷺ ، ففي قوله (إلا أن يؤذن لكم الى طعام) تضمين الإذن معنى الدعوة للإشعار بأنه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة حتى مع وجود الإذن الصريح بالدخول ، حتى لا يكون الإنسان طفيلياً يحضر الوليمة بدون إذن سابق ، ومما يدل على ذلك التضمين قوله تعالى (ولكن اذا دعيتم فادخلوا) فهي صريحة في ان المراد بالإذن (الدعوة) فينبغي التمسك بهذا الأدب الجميل^(٦٠) .

كذلك لنا وقفة اخرى في قوله تعالى (ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانثروا) وفي ذلك لطيفة جميلة ، وهي انه في العادة اذا قيل لمن كان يعتاد دخول دار من غير إذن ، لا تدخلها من غير إذن : لا تدخلها الا بإذن ، يتأذى وينقطع بحيث لا يدخلها اصلاً ولا بالدعاء ، فقال : لا تفعلوا مثل ما يفعله المستكفون ، بل كونوا طائعين سامعين ، اذ قيل لكم : لا تدخلوا فلا تدخلوا ، واذا قيل لكم ادخلوا فادخلوا^(٦١) .

ونختم كلامنا بما سخره الله تعالى لسليمان عليه السلام ، قال تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(٦٢) ، ففي النص إشارة الى أن الجن^(٦٣) الذين كانوا مسخرين لسليمان عليه السلام ، ولم يكونوا من المؤمنين ، وانما كانوا من المردة الكافرين ، لان سليمان عليه السلام لا يعذب المؤمنين ، ولا يذيقهم انواع العذاب ، لان كل رسول يكون رحيماً بأتباعه ، ودل على هذا المعنى ايضاً قوله تعالى ﴿... مَا لَيْتُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾^(٦٤) .

ومما سبق يظهر دقة النظم القرآني وسبك العبارات التي أشبهت العقد فلا يستقيم العقد فلا يستقيم الا بهذا النسق الجميل .

الخاتمة

تبين لنا مما تقدم :

١. ان الاعجاز البياني هو من اعظم وجوه اعجاز القرآن الكريم .
٢. ان التعبير القرآني غاية في الدقة فما من حرف ولا كلمة ولا جملة في القرآن الكريم يصح ان نستبدلها فتؤدي المعنى المراد منها .
٣. ان الحرف هو الجزء الاصغر من اجزاء الكلام وبه وقع الاعجاز القرآني .
٤. ان من وجوه اعجاز القرآن الدقة المتناهية في اختيار الكلمة بحيث انها جاءت روعة في التعبير وقمة في البلاغة .
٥. ان الاعجاز القرآني لم يقتصر على دقة انتقاء الحرف والكلمة بل تعداه الى دقة النظم القرآني في اختيار الجمل فكان معجزاً بكل جملة .
٦. ان الاعجاز القرآني بكل انواعه اعجاز لا يتناهى فسيظل القرآن معجزة الله الخالدة .

Abstract :

The Quranic Paralyzing is considered one of the best and greatest studies since the Holly book is eternal mevicle of God during the passage of time So I decide to write in this impovtant field in Quran , I call it .

The Accuracy of Expression in Verses and Their Effect in Quranic Paralyzing " This research cousists of an introduction and three parts .

- Part on : The Accuracy in choosing letters .
- Part two : The Accuracy in choosing words .
- Part three : The Accuracy in choosing sentences .

Finally we have the conclusions

الهوامش :

- ١ . معجزة القرآن : ٤٥ .
- ٢ . الاحزاب : ٤٩ .
- ٣ . ينظر : روح المعاني : ١٣٣/٢ .
- ٤ . البقرة : ٢٣٣ .
- ٥ . ينظر : اصول السرخسي : ٢٣٧/١ .
- ٦ . سنن ابن ماجه : ٧٦٩/٢ .

٧. ينظر : الكتاب لسبويه : ٢١٧/٤ ؛ وائر الدلالة النحوية واللغوية : ١٢١-١٢٢ .
٨. الكشاف : ٢١٢/١ .
٩. المادة : ٣٣ .
١٠. ينظر : البداية المجتهد : ٤٤٥/٢ ؛ والبحر المحيط : ٤٧٠/٣ .
١١. ينظر : بدائع الصنائع : ٩٣/٧-٩٤ ؛ والمغني لآين قدامة : ١٤٥/٩ ؛ وائر الدلالة النحوية واللغوية : ١٣٨ .
١٢. ينظر : روح المعاني : ٧٧/١ ؛ وروائع البيان : ٣٨/١ ؛ والاية من سورة لقمان : ٢٥ .
١٣. البقرة : ١٠٦ .
١٤. تفسير أبي السعود : ١٤٤/١ .
١٥. البقرة : ١٥٩ .
١٦. ينظر : البحر المحيط : ٤٥٩/١ .
١٧. الفاتحة : ٣ .
١٨. ينظر : التفسير الكبير : ٢٥/١-٢٦ .
١٩. البقرة : ٢٣٥ .
٢٠. ينظر : شأن الدعاء : ٦٥ ؛ والمنهاج في شعب الايمان : ٢٠١ .
٢١. تفسير ابي السعود : ٢٣٣/١ .
٢٢. البقرة : ٢٢٥ .
٢٣. ينظر : من بلاغة القرآن : ٧٩-٨٠ .
٢٤. النور : ٦٠ .
٢٥. ينظر : شأن الدعاء : ٥٩ .
٢٦. المنهاج في شعب الايمان : ١٩٩/١ .
٢٧. ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٨٢/٢١ .
٢٨. البقرة : ١٨٠ - ١٨١ .
٢٩. ينظر : من بلاغة القرآن : ٧٩ .
٣٠. التوبة : ١٠٣ .
٣١. ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٢٢٦/١٥ ؛ وفي ظلال القرآن : ١٧٠٨/٣ .
٣٢. البقرة : ١٢٧ .
٣٣. ينظر : من بلاغة القرآن : ٧٨-٧٩ .
٣٤. النور : ٤-٥ .
٣٥. البقرة : ١٦٠ .
٣٦. تفسير التحرير والتنوير : ١٤٩/٢١ .
٣٧. المزمّل : ٢٠ .
٣٨. ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٣٠٦/٣٤ .
٣٩. الحجرات : ١٢ .
٤٠. تفسير التحرير والتنوير : ١٩٧/٤٠ .
٤١. البقرة : ١٤٣ .

٤٢. ينظر : المقصد الاسنى : ١٣٤ ؛ وتفسير المنار : ٢/٢ .
٤٣. ينظر : شأن الدعاء : ٩١ ؛ وروائع البيان : ١١٣/١ .
٤٤. ينظر : تفسير المنار : ٢/٢ .
٤٥. ينظر : الجامع لاحكام القرآن : ١٤٤/٢ .
٤٦. التوبة : ٢٨ .
٤٧. ينظر : شأن الدعاء : ٥٧ .
٤٨. المنهاج في شعب الايمان : ١٩٩/١ .
٤٩. ينظر : شأن الدعاء : ٧٣-٧٤ ؛ ولوامع البيانات : ٢٨٤-٢٨٥ .
٥٠. ينظر : المقصد الاسنى : ١١٣ .
٥١. ينظر : تفسير التحرير والتنوير : ٧٠/١٥ .
٥٢. فكرة اعجاز القرآن للحمصي : ٩٤-٩٥ .
٥٣. النساء : ٣٤ .
٥٤. ينظر : روائع لبيان : ٤٦٧/١ ؛ والبيت للمتنبى (ينظر ديوانه : ٢٣٥) .
٥٥. البقرة : ١٨٤ .
٥٦. ينظر : التفسير الكبير : ٨١/٥ .
٥٧. الحجرات : ٩ .
٥٨. التفسير الكبير : ٥٩٦/٧ .
٥٩. الاحزاب : ٥٣ .
٦٠. ينظر : روح المعاني : ٦٨/٢٢ .
٦١. ينظر : لتفسير الكبير : ٧٩٤/٦ .
٦٢. سبأ : ١٢ .
٦٣. أي المخصوصون في هذه الاية .
٦٤. ينظر : التفسير الكبير : ١٢/٧ ؛ والاية من سورة سبأ : ١٤ .

المصادر والمراجع :
القرآن الكريم

١. اثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الاحكام من آيات القرآن التشريعية ، عبد القادر عبد الرحمن السعدي ، ط٦ ، مطبعة الخلود ، بغداد ، العراق ، ١٤٠٦ هـ - ١٠٦٨ م .
٢. اصول السرخسي ، محمد احمد السرخسي ، تحقيق : ابو الوفا الافغاني ، القاهرة ، ١٣٧٢ هـ .
٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، الرافي ، ط٩ ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
٤. البحر المحيط ، لابي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حسان الاندلسي الغرطاني (ت٧٥٤هـ) ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٨ هـ .
٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ابو بكر الكاساني ، ط١ ، مطبعة شركة المطبوعات العلمية ، مصر ، ١٣٢٧ هـ .
٦. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، محمد احمد بن رشد القرطبي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .
٧. تفسير ابي السعود ، " ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم " لابي السعود محمد بن احمد العمادي (ت٩٥١هـ) ، طبعة منقحة باشراف محمد عبد اللطيف ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، ميدان الازهرية ، د.ت .
٨. تفسير التحرير والتنوير ، محمد الطاهرين عاشور ، دار التونسية للنشر ، د.ت .
٩. تفسير القرآن الحكيم (المنار - محمد عبدة ومحمد رشيد رضا) ، ط٤ ، دار المنار للنشر ، مصر ، ١٣٧٣ هـ .
١٠. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، محمد فخر الدين الرازي ، ط١ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
١١. الجامع لاحكام القرآن ، لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ، تحقيق : احمد عبد العليم البردوني ، ط٣ مصورة عن الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .
١٢. روائع اليان تفسير آيات الاحكام من القرآن ، محمد علي الصابوني ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
١٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، طبعة مصححة ومنقحة ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
١٤. سنن ابن ماجه ، ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق : فؤاد عبد الباقي ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٢ م .
١٥. شأن الدعاء ، احمد بن محمد الخطابي (ت٣٨٨هـ) ، تحقيق : احمد يوسف الدقاق ، ط١ ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
١٦. فكرة إعجاز القرآن ، نعيم الحمصي ، تقديم : محمد بهجت البيطار ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٧. في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ط٧ ، دار الشروق ، العمى للتأليف والنشر ، لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
١٨. الكتاب ، سيوييه ابو بشر عمرو بن عثمان ، ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م .
١٩. الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الاقاويل في وجوه التويل ، ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، د.ت .
٢٠. المغني ، لابن قدامة المقدسي ، مطبعة الفجالة الجديدة ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
٢١. المفردات في غريب القرآن ، الراغب الاصبهاني ، مصر ، المطبعة الميمنية .
٢٢. من بلاغة القرآن ، احمد احمد بدوي ، ط٣ ، مكتبة النهضة ، مصر ، ١٩٥٠ م .
٢٣. المنهج في شعب الايمان ، لابي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي (ت٤٠٣ هـ) ، تحقيق : حلمي محمد فودة ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .